قوله : 99 - { وهو الذي أنزل من السماء ماء } هذا نوع آخر من عجائب مخلوقاته والماء هو ماء المطر وفي { فأخرجنا به } التفات من الغيبة إلى التكلم إظهارا للعناية بشأن هذا المخلوق وما ترتب عليه والضمير في { به } عائد إلى الماء و { نبات كل شيء } يعني كل صنف من أصناف النبات المختلفة وقيل المعنى رزق كل شيء والتفسير الأول أولى ثم فصل هذا الإجمال فقال : { فأخرجنا منه خضرا } قال الأخفش : أي أخضر والخضر : رطب البقول وهو ما يتشعب من الأغصان الخارجة من الحبة وقيل يريد القمح والشعير والذرة والأرز وسائر الحبوب { نخرج منه حبا } هذه الجملة صفة لخضرا : أي نخرج من الأغصان الخضر حبا متراكبا : أي مركبا بعضه على بعضه كما في السنابل { ومن النخل } خبر مقدم و { من طلعها } بدل منه وعلى قراءة من قرأ يخرج منه حب يكون ارتفاع قنوان على أنه معطوف على حب وأجاز الفراء في غير القرآن قنوانا عطفا على حبا وتميم يقولون قنيان وقرئ بضم القاف وفتحها باعتبار اختلاف اللغتين لغة قيس ولغة أهل الحجاز والطلع : الكفري قبل أن ينشق عن الإغريض والإغريض يسمى طلعا أيضا والقنوان : جمع قنو والفرق بين جمعه وتثنيته أن المثنى مكسور النون والجمع على ما يقتضيه الإعراب ومثله صنوان والقنو : العذق والمعنى : أن القنوان أصله من الطلع والعذق هو عنقود النخل وقيل القنوان : الجمار والدانية : القريبة التي ينالها القائم والقاعد قال الزجاج : المعنى منها دانية ومنها بعيدة فحذف ومثله { سرابيل تقيكم الحر } وخص الدانية بالذكر لأن الغرض من الآية بيان القدر والامتنان وذلك فيما يقرب تناوله أكثر قوله : { وجنات من أعناب } قرأ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى والأعمش وعاصم في قراءته الصحيحة عنه برفع جنات وقرأ الباقون بالنصب وأنكر القراءة الأولى أبو عبيدة وأبو حاتم حتى قال أبو حاتم هي محال لأن الجنات لا تكون من النخل قال النحاس : ليس تأويل الرفع على هذا ولكنه رفع بالابتداء والخبر محذوف : أي ولهم جنات كما قرأ جماعة من الفراء { وحور عين } وقد أجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفراء وأما على النصب فقيل هو معطوف على { نبات كل شيء } أي وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب أو النصب بفعل يقدر متأخرا : أي وجنات من أعناب أخرجناها وهكذا القول في انتصاب الزيتون والرمان : وقيل هما منصوبان على الاختصاص لكونهما عزيزين و { مشتبها } منتصب على الحال : أي كل واحد منهما يشبه بعضه بعضا في بعض أوصافه ولا يشبه بعضه بعضا في البعض الآخر وقيل إن أحدهما يشبه الآخر في الورق باعتبار اشتماله على جميع الغصن وباعتبار حجمه ولا يشبه أحدهما الآخر في الطعم وقيل خص الزيتون والرمان لقرب منابتهما من العرب كما في قول ا سبحانه : {

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت } ثم أمرهم سبحانه بأن ينظروا نظر اعتبار إلى ثمره إذا أثمر وإلى ينعه إذا أينع والثمر في اللغة : جنى الشجر واليانع : الناضج الذي قد أدرك وحان قطافه قال ابن الأنباري : الينع جمع يانع كركب وراكب وقال الفراء : أينع احمر قرأ حمزة والكسائي ثمره بضم الثاء والميم وقرأ الباقون بفتحها إلا الأعمش فإنه قرأ ثمره بضم الثاء وسكون الميم تخفيفا وقرأ محمد بن السميفع وابن محيصن وابن أبي إسحاق وينعه بضم الياء التحتية قال الفراء : هي لغة بعض أهل نجد وقرأ الباقون بفتحها والإشارة بقوله : { إن في ذلكم } إلى ما تقدم ذكره مجملا ومفصلا { لآيات لقوم يؤمنون } باﷲ استدلالا بما يشاهدونه من عجائب مخلوقاته التي قصها عليهم .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : { إن اﷲ فالق الحب والنوى } يقول : خلق الحب والنوى وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال : يفلق الحب والنوى عن النبات وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال : الشقان اللذان فيهما وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن أبي مالك نحوه وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه في قوله : { يخرج الحي من الميت } قال : النخلة من النواة والسنبلة من الحبة { ومخرج الميت من الحي } قال : النواة من النخلة والحبة من السنبلة وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد { يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي } قال : الناس الأحياء من النطف والنطفة ميتة تخرج من الناس الأحياء ومن الأنعام والنبات كذلك أيضا وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس { فأنى تؤفكون } أي فكيف تكذبون وأخرج أيضا عن الحسن قال : أنى تصرفون وأخرج أيضا عن ابن عباس في { فالق الإصباح } قال : خلق الليل والنهار وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال : يعني بالإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في { فالق الإصباح } قال : إضاءة الفجر وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله : { فالق الإصباح } قال : فالق الصبح وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : { وجعل الليل سكنا } قال : سكن فيه كل طير ودابة وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { والشمس والقمر حسبانا } يعني عدد الأيام والشهور والسنين وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر } قال : يضل الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر والخطيب في كتاب النجوم عن عمر بن الخطاب قال : تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا فإنها واﷲ ما خلقت إلا زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة نحوه

وأخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عمر قال : قال رسول ا A : [تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا] .

وقد ورد في استحباب مراعاة الشمس والقمر لذكر ا سبحانه لا لغير ذلك أحاديث : منها عند الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال : قال رسول ا A : [أحب عباد ا إلى ا الذين يراعون الشمس والقمر لذكر ا] وأخرج ابن شاهين والطبراني والحاكم والخطيب عن عبد ا بن أبي أوفى قال : قال رسول ا A فذكر نحوه وأخرج أحمد في الزهد والخطيب عن أبي الدرداء نحوه وأخرج الخطيب في كتاب النجوم عن أبي هريرة نحو حديثه الأول مرفوعا وأخرج الحاكم في تاريخه والديلمي بسند ضعيف عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول ا A : [ثلاثة يظلهم ا في ظله يوم لا ظل إلا ظله : التاجر الأمين والإمام المقتصد وراعي الشمس بالنهار] وأخرج عبد ا بن أحمد في زوائد الزهد عن سلمان الفارسي قال : [سبعة في ظل ا يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم الرجل الذي يراعي الشمس لمواقيت الصلاة] فهذه الأحاديث مقيدة بكون المراعاة لذكر ا والصلاة لا لغير ذلك وقد جعل ا انقضاء وقت صلاة الفجر طلوع الشمس وأول صلاة الظهر زوالها ووقت العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية ووقت المغرب غروب الشمس وورد في صلاة العشاء [أن النبي A كان يصليها لوقت مغيب القمر ليلة ثالث الشهر] وبها يعرف أوائل الشهور وأوساطها وأواخرها فمن راعى الشمس والقمر بهذه الأمور فهو الذي أراده النبي A ومن راعاها لغير ذلك فهو غير مراد بما ورد وهكذا النجوم ورد النهي عن النظر فيها كما أخرجه ابن مردويه والخطيب عن علي قال : نهاني رسول ا A عن النظر في النجوم وأخرج ابن مردويه والمرهبي والخطيب عن أبي هريرة قال : نهى رسول ا A عن النظر في النجوم وأخرج الخطيب عن عائشة مرفوعا مثله وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن ابن مسعود قال : قال رسول ا A : [إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا] وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال النبي A : [من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد] فهذه الأحاديث محمولة على النظر فيها لما عدا الاهتداء والتفكر والاعتبار وما ورد في جواز النظر في النجوم فهو مقيد بالاهتداء والتفكر والاعتبار وما ورد في جواز النظر في النجوم فهو مقيد بالاهتداء والتفكر والاعتبار كما يدل عليه حديث ابن عمر السابق وعليه يحمل ما روي عن عكرمة فيما أخرجه الخطيب عنه : أنه سأل رجلا عن حساب النجوم فجعل الرجل يتحرج أن يخبره فقال عكرمة : سمعت ابن عباس يقول : علم عجز الناس عنه ووددت أني علمته وقد أخرج أبو داود والخطيب عن سمرة بن جندب أنه خطب فذكر حديثا عن رسول ا A أنه قال : [أما بعد فإن ناسا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض وإنهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات ا يعبر بها عباده

لينظر ما يحدث لهم من توبة] وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما في كسوف الشمس والقمر عن النبي A : [إنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن يخوف ا بهما عباده] وأخرج ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعا : [إن ا نصب آدم بين يديه ثم ضرب كتفه اليسرى فخرجت ذريته من صلبه حتى ملأوا الأرض] فهذا الحديث هو معنى ما في الآية - { وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة } - وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس في قوله : { فمستقر ومستودع } قال : المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب وفي لفظ : المستقر ما في الرحم وعلى ظهر الأرض وبطنها مما هو حي ومما قد مات وفي لفظ المستقر ما كان في الأرض والمستودع ما كان في الصلب وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود في الآية قال : مستقرها في الدنيا ومستودعها في الآخرة وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال : المستقر الرحم و المستودع المكان الذي يموت فيه وأخرج أبو الشيخ عن الحسن وقتادة في الآية قالا : مستقر في القبر ومستودع في الدنيا أوشك أن يلحق بصاحبه وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله : { نخرج منه حبا متراكبا } قال : هذا السنبل وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب { قنوان دانية } قال قريبة وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس { قنوان دانية } قال : قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه قنوان الكبائس والدانية المنصوبة وأخرج ابن أبي حاتم عنه أيضا في { قنوان دانية } قال : تهدل العذوق من الطلع وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله : { مشتبها وغير متشابه } قال : متشابها ورقه مختلفا ثمره وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي في قوله : { انظروا إلى ثمره إذا أثمر } قال : رطبه وعنبه وأخرج أبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء { وينعه } قال : نضجه